شبهات المستشرقين حول الوحي والرد عليها

دكتور/ إبراهيم خليفة عبد اللطيف*

الحمد لله وأصلي وأسلم على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه . وبعد

فإن للمستشرقين اهتمام كبير بالإسلام والعالم الإسلامي تمتد آثاره على مر الزمن ، فهم دائبون على عمل البحوث والدراسات في هذا الشأن ، حيث يتناولون فيها حاضر المسلمين بصفة خاصة، وماضيهم ، ومستقبلهم المنظور، كما يتناولون الإسلام من جوانب شتى ، وقد يعجب المرء من هذا النشاط غير العادي ويتساءل : ما الذي يدفع المستشرقين إلى هذا الاهتمام البالغ بكل ما يتعلق بالإسلام والمسلمين ؟

وتختلف الإجابة ، فمن قائل : إن هذا طبع في الغرب ، ومن قائل : إنها هواية شخصية يُرضي بها المستشرق نفسه ، ويُفرّغ فيها طاقته ، إلى غير ذلك من الأسباب ، دون أن يفطن الإنسان إلى حقيقة الاستشراق [1] وأهدافه ووسائله .

إن للمستشرقين سياسة مرسومة لإيهام المسلمين بأنهم دعاة حق يؤمنون به حين يرونه أيا كان نوع هذا الإيمان ، والحقيقة أن تحاملهم على الإسلام غريزة موروثة ، وخاصة طبيعية تقوم على المؤثرات التي خلّفتها الحروب الصليبية في عقول الأوربيين ، وكان الغرض منها محاولة القضاء على الإسلام بكل الوسائل التي يمكن استخدامها في هذا السبيل .

ولما كان الوحي من أهم الأمور وأعظمها في الإسلام ، لأنه الأساس الذي ينبني عليه أمر الدين ، فإذا ما فقد الوحي فقد الدين ، فقد أدرك المستشرقون أهميته ، إذ التصديق به يعتبر القاعدة للتصديق بنبوة النبي ﷺ ، وانطلاقا من عدم تصديقهم بنبوته ﷺ قاموا بالتشكيك في الوحي تمهيدا للتشكيك في نبوته ﷺ وسائر جوانب الإسلام .

---

* قسم العقيدة والفلسفة ـــ كلية أصول الدين والدعوة جامعة الأزهر ـــ المنصورة ـــ مصر.

لقد تجاهل المستشرقون حقيقة الوحي وذهبوا مشككين في مجيء الوحي إلى النبي ﷺ ، وقد تباينت أقوالهم ، فمن قائل : إن الوحي حالة نفسية كانت تعتريه ﷺ ، وقد أطلقوا عليه الوحي النفسـي ، ومـن قائل : إن الوحي حالة مرضية تنتابه ﷺ ، وهي كالصرع ، ومن قائل : بأن معلوماتـه ﷺ وأفكـاره وآماله ولّدت له إلهاما فاض من عقله الباطن أو نفسه الخفية الروحانية العالية على مخيلته السامية ، وانعكس اعتقاده على بصره ، فرأى الملك ماثلا على سمعه ، فوعى ما حدّث الملك به ، وعلى هذا فالوحي عبارة عن تخيلات من فعله ﷺ ، ومن قائل : إنه ﷺ كان في أشد حالات الصحة بأنواعها نفسية وبدنية وعقلية ، إلا أن ما زعمه من نزول الوحي عليه كان مقتبسا من اليهودية والنصرانية ، نتيجة لما جمعه من البيئة التي كانت ملأى بالرهبان والقسيسين ، ومن ثم ذهب أصحاب هذا الرأي إلى أنه ﷺ كان تلميذا مخلصا لورقة بن نوفل وغيره ، إلى غير ذلك من الشبهات التي ساقوها ، وقد كان وراءهم غرض خبيث هو التشكيك في نبوته ﷺ .

ومـن العجيـب أنه في الوقت الذي ركّز المستشرقون فيه جل جهودهم في التشكيك في الوحي إلى النبي ﷺ، يوقنون فيه بصدق وقوعه لغيره من الأنبياء السابقين ، وقد غاب عن أذهانهم حقـيقة كبرى هي : أن الوحي إلى النبي محمد ﷺ ، لا يختلف في شيء عن الوحي إلى غيره من الأنبياء السابقين من حيث الوقوع ، ولذا حاولوا أن يفسروا الوحي وكيفياته تفسيراً يتناسب مع هذا الزعم الجائر، والضلال المبين .

ويشتمل هذا البحث على مبحثين :

المبحث الأول : التعريف بالوحي وكيفياته .

المبحث الثاني : شبهات المستشرقين حول الوحي والرد عليها .

وهي على الوجه التالي :

أولا : شبهة الوحي النفسي والرد عليها .

ثانيا : شبهة أن الوحي عبارة عن أمراض نفسية وعقلية والرد عليها.

ثالثا : شبهة أن الوحي مقتبس من اليهودية والنصرانية والرد عليها.

رابعا : شبهة الغرانيق والرد عليها .

وهذا البحث محاولة لإيراد شبهات المستشرقين حول الوحي والرد عليها .

المبحث الأول : التعريف بالوحي وكيفياته

تمهيد

تظهـــر لـــنا أهمية دراسة الوحي من خلال أنه الخاصة الأولى للنبوة ، وأساسها الذي تعتمد عليه، فهو الأساس في الدعوة للنبوة ، وبدونه تفقد النبوة أساسها ، ومن ثم فعلاقة الوحي بالنبوة علاقة إثبات وتحقيق .

يقول القاضي عبد الجبار في بداية حديثه عن النبوات : (ووجه اتصاله بباب العدل ، هو أنه كلام في أنه تعالى إذا علم أن صلاحنا يتعلق بهذه الشرعيات ، فلا بد من أن يعرفنها لكي لا يكون مخلاً بما هو واجب عليه . ومن العدل أن لا يخل بما هو واجب عليه) . [٢]

ومعـــنى كلامه أن كون الله عادلاً ، فهذا يلزم تبليغ شرائعه للبشر ، وهذا لا يتحقق إلا عن طـــريق الـــنبي بواســـطة الوحي ، أي أن الوحي ضرورة لازمة ، ذلك لأنه أساس حقيقة الرسالة كرسالة إلهية ، وأساس ما لها من القداسة ، وهو طريقها الوحيد ، وأهم مراكزها.

أولا : الوحي في اللغـــة .

وردت كلمة "الوحي" في اللغة بمعان مختلفة ، إلا أن هذه المعاني تدور في الواقع حول معنى الخفاء والسرعة ، والإلهام ، فيقال : أوحي إليه أي أومأ إليه ، ووحيت إليه وأوحيت ، أي كلمته بما تخفيه عن غيره. [٣]

ووردت في القـــرآن في صيغة الفعل والمصدر (في ٧٠ آيه منها ٦٤ مكية و٦ مدنيه) ودلت على معان مختلفة ، فالوحي يدل على : –

ــ الإشارة السريعة على سبيل الرمز ، قال تعالى :﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيّاً﴾ (مريم: ١١)

وقـــال تعـــالى :﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزاً﴾ (آل عمران: من الآية٤١)

ــ الإلهام الفطري للإنسان مثلما أوحى إلى أم موسى، وقال تعالى: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى﴾(طـــه:٣٨) وقال: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾(القصص: من الآية٧)

ــ الإلهـــام الغريزي للحيوان والإيماء بالجوارح ، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ (النحل:٦٨)

ـ وسوسة الشيطان وتزيينه خواطر الشر للإنسان، قال تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ (الأنعام:١١٢)

ـ ما يلقيه الله إلى الملائكة من أمر ليفعلوه ، قال تعالى : ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ (الأنفال:١٢)

واستعملت الكلمة أيضا لتدل على الكتاب أو الرسالة التي توجه لشخص ما لأخذ العلم بأمرها ، ثم استعملت فيما بعد لتدل بنوع خاص على ما يرسل الله إلى أنبيائه .[٤]

والقول الجامع في معنى الوحي أنه الإعلام الخفي السريع الخاص بمن يوجه إليه بحيث يخفى على غيره ، ووحي الله تعالى إلى أنبيائه روعي فيه المعنيان الأصليان لهذه المادة ، وهما الخفاء والسرعة ، فهذا المعنى هو المصدر ، ويطلق على متعلقه وهو ما وقع به الوحي أي الحكم أو الأمر الموحي والمنزل على النبي ﷺ .[٥]

ثانيا – الوحي في الشرع .

استعملت كلمة الوحي في الشرع وهي تحمل عدة معان ، منها :

أنه : إعلام الله ، رسولا من رسله أو نبيا من أنبيائه ، ما يشاء من كلام أو معنى بطريقة تفيد النبي أو الرسول العلم اليقين القاطع بما أعلمه الله به ، أو هو : كلام الله تعالى المنزل على نبي من أنبيائه .[٦] ونلاحظ أن هذا التعريف قد جاء بمعنى "الموحى" (اسم المفعول) .

وعرفه الشيخ محمد عبده بأنه : (عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من الله بواسطة أو بغير واسطة، والأول بصوت يتمثل لسمعه أو بغير صوت).[٧]

ومن التعريفات السابقة نجد أن الوحي قد استجمع عدة عناصر هي :

- أنه إعلام من الله يأتي ، وإدراك النبي أو الرسول لما يلقى إليه، دون أن يتدخل في مضمونه معنى ولفظا (إذا كان الوحي لفظا أيضا) قال تعالى : ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (يونس:١٥)
- واليقين القاطع بأن(الموحى) هو الله .

- وأن ظاهرة الوحي ناموس إلهي يتلقى به جميع الرسل والأنبياء ما يلقى إليهم من إعلام، قال تعالى:﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً﴾ (النساء:١٦٣) .

فهذه العناصر إذن حسب النصوص القرآنية ما يلي:

- الأنبياء والرسل هم من البشر اصطفاهم الله ذاته بالنبوة .
- الوحي هو وسيلة الإلهام الإلهي إن كان للملائكة أم للبشر.
- الرسل والأنبياء يشعرون بوضوح بظاهرة الوحي.
- إن ما يلقى به قد يكون كلام ملفوظ،أي سبق كتابته في لوح محفوظ، وقد يكون معاني يمكن التصرف بأدائها بألفاظ من عند النبي وتبقى إرادة النبي بعيدة عن كل تداخل في مضمون أو لفظ ما يلقى إليه بالوحي.(٨)

ثالثا : موضوع الوحي وكيفيته .

١- موضوع الوحي أو مضمونه .

إن موضوع أو مضمون الوحي هو كلام الله الموحى إلى محمد ﷺ ، والأنبياء قبله لكي يبلغه إلى الناس، ومجموع ما أوحى إلى محمد ﷺ يؤلف كتاب الله وهو القرآن الكريم ،والسنة.

وكلمة القرآن تدل على الكلام المعجز المنزل على محمد،المكتوب في المصاحف،والمنقول عنه بالتواتر المتعبد بتلاوته،وقد أطلق عليه أسماء عديدة ، منها : الكتاب، والذكر، والتنزيل.(٩)

وكان بدء نزوله في ليلة القدر، قال تعالى :﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (القدر:١)

وكان محمد ﷺ على رأس الأربعين من عمره ، وظل القرآن ينزل عليه منجماً معنىً ومبنىً خلال ثلاثة وعشرين عاما ، قضى منها ثلاث عشرة سنة في مكة وعشر سنين في المدينة ، وكان يتم ذلك حسب الحاجة متدرجا مع الوقائع والأحداث .

وقسم القرآن إلى سور مكية وسور مدنية، حسب النزول مكانا وزمانا، والمشهور أن المكي ما نزل قبل هجرة الرسول إلى المدينة ، وإن كان نزوله بغير مكة، والمدني ما نزل بعد الهجرة، وإن كان بمكة.

٢- كيفية الوحي .

يتحدث القرآن الكريم عن كيفية الوحي في قوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ (الشورى:٥١) واستنادا إلى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية استخلص المسلمون أنواع الوحي المختلفة ، وميزوا طرق الوحي ، فمنها ما كان بغير واسطة، ومنها ما كان بواسطة .

- الوحي بغير واسطة .

يتم الوحي بغير واسطة بقذف الله الكلام أو المعاني في القلب قذفا مباشرا ، يفيد النبي علما قطعيا ضروريا بأن ذلك من عند الله تعالى ، وذلك إن كان الوحي رؤيا في المنام أو اليقظة وهذا ما تم للملائكة ، ولإبراهيم عليه السلام في الرؤيا، أو لمحمد ﷺ يقظة في ليلة الإسراء .(١٠)

فالدليل على الرؤيا يقظة ما حدث لسيدنا موسى عليه السلام، كما في قوله تعالى : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً﴾(النساء: من الآية١٦٤) وما حدث لسيدنا محمد ﷺ كما في قوله تعالى : ﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾ (لنجم:١٠)

والدليل على الرؤيا مناما ما جاء في القرآن الكريم من قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ (الصافات:١٠٢)

- وما جاء في السنة مَن حديث عائشة رضي الله عنها : (أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح).(١١)

- الوحي بواسطة .

ويتم ذلك كما في الآية (من وراء حجاب) أي أن الله يسمع كلامه دون أن يراه السامع ، وهذا ما حدث لموسى في الطور، أو أن يتم بإرسال ملاك ترى صورته المعينة، أو يتراءى للرسول بشكل رجل ، ويسمع كلامه ، فيوحي إلى الرسول ما أمره الله أن يوحيه إليه...وهذا ما يحدث لأكثر الأنبياء ، وكما حدث خصوصا لنبينا محمد ﷺ .(١٢)

بعد أن تحدثنا عن موضوع الوحي وكيفيته ، نستطيع أن نقول : إن الوحي النبوي شيء لا يتعارض مع العقل الذي يعرف قدره ، وأنه طور أسمى من إدراك العقل ، فلا ينبغي أن يكون للعقل حكما فيه ، لأنه ليس من ميدانه ولا يخضع لمقاييسه .

ولما كـــان الوحي أسمى من العقل ، فقد قربه الله تعالى إلى خلقه بأن أعطاهم أنموذجا من خاصـــية النـــبوة أو الوحـــي ، وهـــي الرؤيا المنامية ، إذ يدرك النائم ما سيكون من الغيب إما صريحا،وإما في كسوة مثال يكشف عنه التعبير ، وهذا الذي يحدث في النوم ، لو لم يجربه الإنسان مـــن نفســـه وقيل لـــه : إن من الناس من يسقط مغشيا عليه كالميت ويزول عنه إحساسه وسمعه وبصره، فيدرك الغيب لأنكر وأقام البرهان على استحالته ، وقال القوى الحساسة أسباب الإدراك، فمن لم يدرك الأشياء مع وجودها وحضورها ، فبأن لا يدركها مع ركودها أولى وأحق، وهذا نوع قـــياس يكذبه الوجود والمشاهد ، فكما أن العقل طور من أطوار الآدمي يحصل فيه عين يبصر بها أنواع من المعقولات ، والحواس معزولة عنها ، فالنبوة أيضا عبارة عن طور يحصل فيها عين لها نور، يظهر في نورها الغيب ، وأمور لا يدركها العقل . (١٣)

المبحث الثاني: شبهات المستشرقين حول الوحي والرد عليها

أولا : شبهة الوحي النفسي والرد عليها

يصـــوّر المستشرق "بروكلمان"(١٤) لنا الوحي النفسي الذي يزعمه هو ومن قال به فيقول: (بينما كان بعض معاصري النبي، كأمية بن أبي الصلت(١٥)، شاعر الطائف، وهي بلدة بحذاء مكة، يكـــتفون بوحدانية عامة، كان محمد يأخذ بأسباب التحنث والتنسك ، ويسترسل في تأملاته حول خلاصـــة الروحي، ليالي بطولها في غار حراء قرب مكة لقد تحقق عنده أن عقيدة مواطنيه الوثنية فاسدة فارغة، فكان يضج في نفسه هذا السؤال، إلى متى يمدهم الله في ضلالهم، مادام هو عز وجل قد تجلى، آخر الأمر، للشعوب الأخرى بواسطة أنبيائه؟ وهكذا نضجت في نفسه الفكرة أنه مدعو إلى أداء هـــذه الرســـالة، رسالة النبوة، ولكن حياءه الفطري حال بينه وبين إعلان نبوته فترة غير قصيرة، ولم تتبد شكوكه إلا بعد أن خضع لإحدى الخبرات الخارقة في غار حراء. ذلك بأن طائفاً تجلى له هنالك يوماً، هو الملك جبريل، على ما تمثله محمد فى ما بعد، فأوحى إليه أن الله قد اختاره لهدايـــة الأمة، وآمنت زوجه فى الحال برسالته المقدسة، وتحرر هو نفسه من آخر شكوكه بعد أن تكررت الحالات التي ناداه فيها الصوت الإلهي وتكاثرت. ولم تكد هذه الحالات تنقضي حتى أعلن ما ظن أنه قد سمعه كوحي من عند الله) . (١٦)

ففي هذا القول يزعم "بروكلمان" أن الوحي الذي جاء رسول الله ﷺ أمر ذاتي من داخل نفسه ، وخياله الواسع، وعقله المتوقد ذكاءً .

والمــتأمل فى هذه الشبهة يرى أنها مع طعنها في الوحي المنزل على رسول الله ﷺ تطعن فى عصمته فيما بلغه من الوحى عن ربه عز وجل.

ويمكن الرد على هذه الشبهة بالآتي :

أولاً : يقول د/ محمد عبد الله دراز : (إن هذا الرأي الذي يروّجه الملحدون باسم "الوحى النفسى" زاعمين أنهم بهذه التسمية، قد جاءونا برأي علمي جديد ، وما هو بجديد ، وإنما هو الرأى الجاهلى القديم ، لا يختلف فى جملته ولا فى تفصيله، فقد صوروا- أهل الجاهلية- النبى ﷺ رجلاً ذا خـيال واسـع وإحساس عميق ، فهو إذن شاعر، ثم زادوا فجعلوا وجدانه يطغى كثيراً على حواســه ، حتى يخيّل إليه أنه يرى ويسمع شخصاً يكلمه ، وما ذاك الذي يراه ويسمعه إلا صورة أخيلته ووجداناته، فهو إذن لجنون أو أضغاث الأحلام ... فأي جديد ترى في هذا كله؟ أليس كله حديثاً معاداً يضاهئون به قول جهال قريش؟ وهكذا كان الإحاد فى ثوبه الجديد صورة منسوخة بل ممسوخة منه فى أقدم أثوابه) . (١٧)

ثانياً : إن صورة الوحى النفسى كما صوروه مبنية على وجود معلومات وأفكار مدخرة فى العقل الباطن، وأنها تظهر فى صورة رؤى ثم تقوى فيخيل لصاحبها أنها حقائق خارجية.

وهــنا تســاؤل : هــل ما جاء به محمد ﷺ من دين يتضمن العقيدة والشريعة بما فيه من القصص والأخلاق ، والمعاملات ، والحدود ، كان مركوزاً أو مدخراً في نفسه ﷺ ؟ .

هــذا مــا تنكره العقولُ بداهة، لأن ما جاء به ﷺ من تعليمات عن طريق الوحي من الله تصــحيحا للعقــائد التي كانت سائدة آنذاك من الشرك والوثنية، والمجوسية، والتأليه، والتثليث، والصــلب، وإنكــار البعث، واليوم الآخر، وكذلك التشريعات التي جاء النبى ﷺ لم تعرف في الشرائع السابقة عليه .

وكذلك قد اشتمل الوحي الذي جاء للنبي ﷺ ، على أسرار فى الكون والأنفس والآفات، لم تخطــر عــلى بــال بشر ، ولم يظهر تأويلها والوقوف على بعض أسرارها إلا بعد تقدم العلوم والمعارف ، فكيف تكون هذه الأسرار من داخل نفس النبي ﷺ وهى لم تخطر له على بال.

ثالــثا : أكــد الله تعالى في القرآن الكريم على أن الوحي من عنده تعالى ، ومن ثم فهو أمر خــارج عن نفس النبي ﷺ وليس نابعاً من داخلها، قال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ*نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ*عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ*بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ (الشعراء:١٩٢-١٩٥) .

ومن هنا يتبين أن الوحي شيء ومحمد ﷺ شيء آخر ، فكيف يكون من نفس النبي أو خيالا فيها ، وهو منفصل عن ذاته ﷺ، وقد قال الله تعالى في صفاته : ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ*ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ*مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ (التكوير:١٩-٢١) .

يقول الإمام الرازي في معنى هذه الآيات : واعلم أنه تعالى وصف جبريل ههنا بصفات ست: أولها رسول ، وثانيها : أنه كريم ، وثالثها : ذي قوة أي حمله على الشدة ، ورابعها : عند ذي العرش مكين ، وهذه العندية ليست عندية مكان ، ولا جهة ، وإنما عندية الإكرام والتشريف والتعظيم ، وأم مكين فهو ذو الجاه الذي يعطي ما يسأل ، وخامسها : مطاع أي عند الله مطاع في ملائكته المقربين وهذا تعظيما للأمانة ، وسادسها : أمين قد عصمه الله من الخيانة والزلل .(١٨)

رابعا : أنه ليس في الوحي إلى النبي ﷺ ما يستنبط من العقل والتفكير ، أو ما يدرك بالوجدان والشعور حتى يمكن القول بأن النبي ﷺ أتى به من عند نفسه .

إن في الوحي من المعاني النقلية البحتة ما لا مجال فيها للذكاء والاستنباط، ولا سبيل إلى علمها لمن غاب عنها إلا بالدراسة والتلقي والتعليم ، والمعايشة .

ومن ذلك مثلا ما جاء به من أنباء ما قد سبق من الأنباء التي لم يعاصرها النبي ، وما فصّله من تلك الأنباء، على وجهه الصحيح .

إن دلائل التاريخ والعقل لترد على هذه الفرية التي افتروها في حقه ﷺ (فأما التاريخ فإنه يحدّثنا – مثلا – بأن ظهور الفرس على الروم كان في سنة ٦١٠ م وذلك بعد رحلة محمد ﷺ الخيرة إلى الشام بأربع عشرة سنة ، وقبل الوحي بسنة ، ثم إن التاريخ أنبأنا أن دولة الروم كانت محتلة معتلة في ذلك العهد ، بحيث لم يكن أحد يرجو أن تعود لها الكرة والغلب على الفرس ، حتى إن أهل مكة أنفسهم هزءوا بالخبر ، وراهن أبو بكر أحدهم على ذلك ، وأجازه النبي ﷺ فربح الرهان . وأما العقل فإنه يحكم بأن مثل محمد ﷺ في سموّ إدراكه المتفق عليه، لا يمكن أن يجزم بأن الغلب سيعود للروم على الفرس في مدة بضع سنين ، لا من قبل الرأي ولا من الوحي النفسي المستمد من الأخبار غير الموثوق بها ، وقد صحّ أن انتصار الروم وقع سنة ٦٢٢م ، وكان وحي التبليغ للنبي ﷺ سنة ٦١٤ م ، فإذا فرضنا أن سورة الروم نزلت في هذه السنة ، يكون النصر قد حصل بعد ثمان سنين ، وإن كان في السنة الثانية تكون المدة سبع سنين ، وهو المعتمد في التفسير ، والبضع يطلق على ما بين الثلاث والتسع) .(١٩)

فهل يقال : إن هذا التاريخ يمكن وضعه بإعمال الفكر، ودقة الفراسة ؟ أم يقال – عن طريق المعـــاندة والمكابرة – : إن محمداً ﷺ قد عاصر تلك الأمم الخالية، وشهد هذه الوقائع مع أهلها شـــهادة عيان ، أو يقال : إنه ﷺ قد ورث كتب الأولين ، فعكف على دراستها حتى أصبح من الراسخين فى علم دقائقها ؟

إنه لا يسعهم مثل هذه الأقوال جميعا ، وإنما هي المعاندة والتشكيك في الحقيقة التي لا يماري فيها عاقل ، قال تعالى : ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ﴾ (هود: من الآية٤٩) وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ (العنكبوت:٤٨)

بـــل إن نصـــوص القـــرآن الكريم صريحة في أنه ﷺ لم يكن يعرف شيئا من أخبار الرسل وقصصهم قبل الوحي وقد اعترف المستشرقون أنفسهم بأنه ﷺ لم يكن ليكذب على أحد فضلا عن الكذب على الله تعالى ، كما اعترف بذلك أبو جهل نفسه .

خامساً : إن النبى ﷺ لم يكن يطمع في الحصول على النبوة ، ولم يرد فى الأخبار الصحيحة أنـــه ﷺ كـــان يرجو أن يكون هو النبى المنتظر الذى يتحدث عنه علماء اليهود والنصارى قبل بعثته، حتى يخيّل الوحي إلى نفسه كما يدّعي أصحاب هذه الشبهة ، وقد نفى القرآن ذلك عنه فى قوله تعالى : ﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾(القصص: من الآية٨٦) . لكـــن ألقي إليك رحمة من ربك بك ، وبالناس كلهم ، لا كسب لك فيه بعلم ولا عمل ، ولا رجاء ولا أمل ، فهو نعمة من الله وفضل.[٢٠]

سادساً : جعل الله تعالى استعداد محمد ﷺ لتلقي الوحي والنبوة أمرا فطريا وهبيّا ، ومن ثم فليس الوحي والنبوة أمرا كسبيا يناله المرء بسعيه وكسبه، بل إن ذلك اصطفاء من الله تعالى يختص بـــه من يشاء من عباده ، قال تعالى : ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ (الأنعام: من الآية١٢٤) وقـــال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾(البقرة: من الآية١٠٥) ولمـــا قال المشركون ما حكاه القرآن الكريم عنهم في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ (الزخرف:٣١) أجابهم الله تعالى بقوله : ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ

رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيّاً وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (الزخرف:٣٢)

وأما اختلاؤه ﷺ وتعبده فى الغار عام الوحى، فلا شك فى أنه كان عملا كسبيا مقوياً لذلك الاستعداد الوهبي ، ومعينا له على العزلة وعدم مشاركة المشركين فى شئ من عباداهم ولا عاداهم، ولكنه لم يكن يقصد به الاستعداد للنبوة ، لأنه لو كان لأجلها لاعتقد حين رأى الملك أو عقب رؤيته حصول مأموله، وتحقق رجائه، ولم يخف منه على نفسه .

وإنما كان الباعث لهذا الاختلاء والتحنث، اشتداد الوحشة من سوء حال الناس فى عقائدهم وأخلاقهم، والهرب منها، إلى الإنس بالله تعالى والرجاء فى هدايته إلى المخرج منها.[٢١]

وقد جعل الله تعالى النبوة فى محمد ﷺ، كما جعلها فى الرسل قبله، واصطفاه لذلك؛ فأى غرابة وعجب فى ذلك؟».

سابعا : إن ما حدث للنبي ﷺ حين نزول الوحي عليه يؤكد أن ذلك لم يكن حدثا نفسيا يمكن إحضاره كما يدّعي أصحاب هذه الشبهة ، والدليل على ذلك ما كان يعتريه من أعراض لا يستطيع السيطرة عليها، كاحمرار وجهه ، وتتابع أنفاسه، والعرق الذي يتصبب منه فى اليوم الشديد البرد ، وثقل جسمه ، وصوت دويّ النحل الذي يسمعه الصحابة عند وجهه .

أضف إلى ذلك ما انتابه ﷺ من حالة الخوف حينما نزل عليه الوحي في مبدأ أمره، كما جاء فى قوله ﷺ : ﴿لقد خشيت على نفسى﴾ وقوله : ﴿زملونى زملونى، حتى ذهب عنه الروع﴾[٢٢] وف رواية قوله : ﴿فإذا الذى جاءنى بحراء جالساً على كرسى بين السماء والأرض، فجئثت منه رعباً﴾ .

ومما يدل على أن النبي ﷺ لا قدرة له على إحضار الوحي وجلبه، كما يدّعي هؤلاء ، فتور الوحي وانقطاعه عنه، فترة من الزمن ، حتى شق ذلك عليه وأحزنه، وأقضّ مضجعه، ثم جاءه جبريل بعد ذلك بقوله تعالى : ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ (الضحى:٣)

وأيضا حينما أبطأ الوحي في النزول على رسول الله ﷺ ثم نزل فقال : رسول الله ﷺ يا جبريل! ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزرنا؟ فنزلت : ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّاً﴾ (مريم:٦٤). [٢٣]

ومــن كل ما سبق من ردود يتضح لنا أن قدح "بروكلمان" ومن نحا نحوه في إثبات الوحي لمحمــد ﷺ وعصمته فيما بلغ ، هو قدح في ديانته وفى رسوله الذي يؤمن به، ولعل "بروكلمان" يرى كما يرى غيره من أهل ملته، أن الوحي هو حلول روح الله في روح الموحى إليه، ولأجل ذلك ألّهوا رسولهم ، وهذا تعريف خاطئ للوحي، وقول فاسد، بل هو كفر وإلحاد، فالله لا يحل في غيره، ولا يحل فيه غيره . (٢٤)

وهكـــذا تـــرى أن ما زعموه من شبهة الوحي النفسي، اختلاق مبعثه الحقد على الإسلام والمسلمين وإرادة إبطال عصمته ﷺ فيما بلغ من الوحي، قال تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (الصف:٨)

ثانيا : شبهة أن الوحي عبارة عن أمراض نفسية وعقلية والرد عليها

زعم بعض المستشرقين أن النبى ﷺ كان مصاباً ببعض الأمراض العقلية النفسية التى أثّرت علـــيه تـــأثيراً بالغاً ، وذهبوا إلى تحديد ذلك فقالوا : إنه كان مريضا بالصرع ، وأن ما يعتريه في ساعات الوحي ، إنما هي نوبات الصرع التي كان يسمع أثناءها كلاما ردّده فأصبح قرآنا ، ونتج من ذلك ما ادّعى أنه وحى من الله .

قال "جولد تسيهر"(٢٥) : (وفى خلال النصف الأول من حياته اضطرته مشاغله إلى الاتصال بأوســاط استقى منها أفكاراً أخذ يجترها في قرارة نفسه، وهو منطو في تأملاته أثناء عزلته، ولميل إدراكـــه وشـــعوره للتأملات المجردة، والتي يلمح فيها أثر حالته المرضية، نراه ينساق ضد العقلية الدينية والأخلاقية لقومه الأقربين والأبعدين) . (٢٦)

فما حقيقة هذه الأمراض، وما نوعيتها؟ هذا ما نراه في إجابة بعض المستشرقين .

فقـــد زعـــم "شبرنجر"(٢٧) و"جوستاف فايل"(٢٨) وغيرهما أن محمدا كان مصاباً بحالات من الصرع يغيب فيها عن الناس وعما حوله، ويظل ملقى على أثرها بين الجبال لمدة طويلة، يسمع له على إثرها غطيط كغطيط النائم، ويتصبب عرقاً، ويثقل جسمه(٢٩) وتعتريه التشنّجات، وتخرج منه الرغوة، فإذا أفاق ذكر أنه أوحى إليه، وتلا على أتباعه ما يزعم أنه وحى من الله ، وهو ليس وحيا وغنما هي نوبات صرع واضطرابات عصبية . (٣٠)

وبعضـــهم اعتبرها حالة هستيريا، وهيجاً عصبياً، يظهر عليه أثرها في مزاجه العصبي القلق، ونفســه كــثيرة العواصف بشكل غامض، حتى كان يصل به الأمر أن لا يفرق بين تعاقب الليل والنهار، وقد هزل على إثرها جسمه، وشحب لونه، وخارت قواه[٣١].

ويذهـــب بعضهم إلى أنه نوع من الهوس فيقول : (ويجب عدّ محمد من فصيلة المتهوّسين من الناحية العلمية كما هو واضح ، وذلك كأكثر مؤسسي الديانات) .[٣٢]

وذهـــب "تـــيودور نولدكه"[٣٣] إلى أن محمدا ﷺ كانت تنتابه نوبات عنيفة من الانفعال جعلته يظن أنه تحت تأثير إلهي ويظن أنه يتلقى وحيا .[٣٤]

والمتأمل فيما جاء في هذه الشبهة من افتراءات يجد أنها لا تطعن في الوحي المنزل على رسول الله ﷺ فقط ، بل تطعن في سلامة عقله وبدنه ، وهذا ما يتنافى مع عصمته ﷺ .

ويمكن الرد على هذه الشبهة من عدة وجوه :

الأول : أن ما قاله المستشرقون في هذه الشبهة ليس أمرا جديدا ، فهم يرددون ما قد سبق لمشركي مكة أن اتخذوا موقفا مماثلا من محمد ﷺ ، كما اتخذه المعاندون من أقوام الأنبياء السابقين مواقف مشابهة ، ويحكي القرآن الكريم ذلك فيقول: ﴿ كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ* أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ (الذريات:٥٢،٥٣)

وقوله تعالى : ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾ (القمر:٩) ، وقوله تعالى : ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ (الحجر:٦)

وهـــذا الافـــتراء هو نفسه ما رمت بها قريش رسول الله ﷺ فبرأه الله مما قالوا، بقوله سبحانه : ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلا مَجْنُونٍ﴾ (الطور:٢٩)

وقد تحدى الله المشركين الذين عرفوه وعايشوه وخبروا حاله أن يثبتوا عليه جنوناً أو اختلال عقل، وذلك فى قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ (ســبأ:٤٦)

وحـــوا معنى هذه الآية يقول الإمام الرازي : (أن يثبت الصفة التي هي أشرف الصفات في البشر بنفي أخس الصفات ، فإنه لو قال أولا هو رسول الله كانوا يقولون فيه النزاع ، فإذا قال ما هـــو مجنون لم يسعهم إنكار ذلك لعلمهم بعلو شانه وحاله في قوة لسانه وبيانه ، فإذا ساعدوا على

ذلك لزمتهم المسألة ، ولهذا قال بعده إن هو إلا نذير ، يعني إما هو به جنة ، أو هو رسول، لكن تبين أنه ليس به جنة ، فهو نذير) . [٣٥]

وفي قوله تعالى : ﴿ مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ ﴾ يقول الأستاذ سيد قطب : (فما عرفتم عنه إلا العقـــل والتدبر والرزانة ، وما يقول شيئا يدعو إلى التظنن بعقله ورشده ، إن هو إلا القول المحكم القوي المبين) . [٣٦]

وممـــا يلفت الأنظار هنا التعبير القرآني عنه ﷺ "بصاحبكم" للتأكيد على أن حاله معروف بينهم، بقوة العقل، ورزانة الحلم، وسداد القول والفعل .

الـــثاني : أن النبي ﷺ كان أصح الناس بدنا ، وأقواهم جسدا ، وأكملهم عقلاً، وأشدهم فطنة، وأصوبهم قولاً ، وأحكمهم فعلاً ، وأوصافه ﷺ التي تناقلها الرواة الثقات تدل على البطولة الجسمانية ، وقد بلغ من قوته أنه صارع "ركانة بن عبد يزيد " [٣٧] فصرعه ، وكان "ركانة" هذا مصارعا ماهرا ، ما قدر أحد أن يأتي بجانبه إلى الأرض ، ولما عرض عليه النبي ﷺ الإسلام قال " صـــارعني ، فـــإن أنت غلبتني آمنت أنك رسول الله ، فتصارعا ، فصرعه النبي ﷺ ، فقيل : إنه أسلم عقب ذلك . [٣٨]

وبلـــغ مـــن شجاعته ﷺ أنه كان يثبت في الميدان حتى يفر منه الشجعان ، ويفزع الخلق، ويشـــتد الأمر ويقول كما حدث فى غزوة حنين: ﴿أنا النبى لا كذب، أنا ابن عبد المطلب﴾[٣٩] ويقول: ﴿إلى أيها الناس، هلم إلى، أنا رسول الله، أنا محمد بن عبد الله﴾[٤٠] ولا يزال كذلك حتى ينصره الله في المعركة.

أضف إلى ذلك أن المصاب بالصرع لا يكون على هذه القوة ، وها هي شهادة الأعداء :

يقـــول المستشرق "ر.ف.بودلي" [٤١] : إن المصاب بالصرع ، لا يفيق منه ، وقد ذخر عقله بأفكار لامعة ، وإنه لا يصاب بالصرع من كان في مثل الصحة التي يتمتع بها محمد ﷺ حتى قبل وفاته بأسبوع واحد ، وما كان الصرع ليجعل من أحد نبيا أو مشرعا ، وما رفع الصرع أحد إلى مراكز التقدير والسلطان يوما ، وكان من تنتابه مثل هذه الحالات في الأزمنة الغابرة يعتبر مجنونا أو به مس من الجن ، ولو كان هناك من يوصف بالعقل ورجاحته فهو محمد ﷺ، ولا شك ، وينفي عن الرسول ﷺ تلك الفرية الظالمة . [٤٢]

ويقـــول المستشـــرق "ماكس مايرهوف"[٤٣] : (أراد بعضهم أن يرى فى محمد رجلاً مصاباً بمرض عصبي أو بداء الصرع، ولكن تاريخ حياته من أوله إلى آخره، ليس فيه شئ يدل على هذا، كما أن ما قام به فيما بعد من التشريع والإدارة يناقض هذا القول) .[٤٤]

الثالث : أن الفرق واضحاً بين صور الوحي الذي كان يتلقاه النبي ﷺ وبين أعراض مرض الصرع الذي زعمه هؤلاء المستشرقون غير المنصفين ، ذلك أن مريض الصرع يصاب بآلام حادة في كافة أعضاء جسمه ، يحس بها إذا ما انتهت نوبة الصرع ، ويظل حزينا كاسف البال بسببها ، وكـــثيرا ما يحاول مرضى الصرع الانتحار من قسوة ما يعانون من آلام في النوبات ، فلو كان ما يعـــتري النبي ﷺ صرعا لأسف لذلك وحزن لوقوعه ، ولسعد بانقطاع هذه الحالة عنه ، ولكن الأمر بخلاف ذلك .

فحينما انقطع الوحي عن الرسول ﷺ مدة حزن لذلك حزنا شديد ا، وكان يذهب إلى غار حـــراء وقمـــم الجبال عسى أن يعثر على الملك الذي جاءه بحراء ، وبقى محزون النفس من هذه الحالة، حتى سرّى عنه ربه ، بوصل ما انفصم من الوحي .[٤٥]

الـــرابع : أن الوحـــي لم يكن يأت النبي ﷺ على هذه الحالة التي قالوا عنها إنها صرع إلا أحيانا قليلة ، وفي غالب الحالات كان يأتيه وهو في حالته الطبيعية ، ويدل على ذلك الحديث الذي رواه الـــبخاري عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، أن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ فقـــال : يا رسول الله كيف يأتيك الوحي ؟ قال ﷺ :﴿ أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو عـــلى أشدّه عليّ ، فيفصم عني ، وقد وعيت عنه ما قال ، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فـــأعي ما يقول قالت عائشة رضي الله عنها : ولقد رأيته يترل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا ﴾[٤٦]

أضف إلى ذلك أن جبريل عليه السلام كان يأتي إلى النبي ﷺ في صورة الرجل فيحادثه أمام الحاضرين وهم يشاهدون ذلك ، كما ثبت في حديث جبريل المشهور الذى سأل فيه النبى ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان...[٤٧]. وكما جاء فى حديث ابن عمر من إتيان جبريل عليه السلام لرسول الله ﷺ فى صورة الصحابي الجليل دحية الكلبى[٤٨].

فهـــنا نـــرى فيما ورد عن رسول الله ﷺ ، أنه لا يظهر عليه شئ مما ذكر من أعراض هذا المرض عند نزول الوحي عليه، بل يظل فى تمام وعيه، وكامل قوته العقلية، قبل الوحي وأثناء تنزله وبعده ، كما قال ﷺ .

ومن الثابت علمياً أن المصروع أثناء الصرع يتعطّل تفكيره وإدراكه تعطلا تاما ، فلا يدري ما يقوله في نوبته شيئا عما يدور حوله ، ولا ما يجيش في نفسه ، كما أنه يغيب عن صوابه ، ولكن النبي ﷺ كان بعد الوحي يتلو على الناس آيات بيّنات ، وتشريعات محكمات ، وكلاما بلغ الغاية من الفصاحة والبلاغة والبيان ما تحدى به العرب وهم أهل ذلك .

لقد عاش النبي ﷺ طيلة حياته في صحة نفسية وعصبية وعقلية دائمة، لم يطرأ عليه أي خلل في عقلـــه أو أعصـــابه في يوم من الأيام، بل كان ﷺ – بشهادة القرآن والسنة والتاريخ–وديعاً صبوراً حليماً ، فسيح الصدر حتى أنه ﷺ وسع الناس جميعاً ببسطه وخلقه.

الخـــامس : أن الطـــب يقدّم دليلا لا ينقض ، وحجة لا تحتاج إلى مناقشة على كذب فرية الصرع ، ويؤكد أن ما كان يعتري رسول الله ﷺ إنما هو وحي من الله تعالى ، ولا يمكن أن يكون شيئا آخر ، لقد ثبت أن نوبات الصرع ناتجة عن تغيّرات فسيولوجية عضوية في المخ ، ولقد أثبت الطب أن هناك مظاهر عديدة ومختلفة للنوبات الصرعية ، ومنها يسمى بالنوبات الصرعية النفسية، وهو يشبه ما افترى به المستشرقون على الرسول ﷺ ، وفي هذه الحالة تمر بذهن المريض ما يسمى "بـــالهلاوس" وقد أثبت الطب أن الذكريات التي تمر بالمريض ، لابد أن يكون قد عاشها بنفسه ، وبتطبـــيق مـــا قرره الطب في حقائق الصرع على ما افتروا به على الرسول ﷺ نجده لم يردد إلا آيات محكمات لا يمكن أن يكون قد سمعها قبل ذلك ، مما تحكي قصص الأولين ، أو تصف أحوال الـــيوم الآخر ، ولما كانت هذه الآيات لم تمر بالرسول ﷺ قطعا قبل ذلك ، فهي لم تختزن في المخ لتثيرها نوبات صرعية فيتذكرها .[٤٩]

السادس : أن ما زعمه هؤلاء الطاعنين وفيهم من ينتمي إلى بعض الأديان في أنهم لا ينالون مـــن الـــنبي محمد ﷺ وحده ، وإنما ينالون من جميع أنبياء الله ورسله الذين كانت لهم كتب أو صحف ، أوحى بها من عند الله سبحانه .

فهل تطيب نفوس هؤلاء أن يخربوا بيوتهم قبل أن يخربوا بيوت غيرهم ؟ وما رأيهم فيما جاء في كتـــب العهـــد القديم والجديد، من إيحاءات ونبوءات ؟ وهل يقولون في وحى نبي الله موسى

وعيسى عليهما السلام ما يقولون في وحي خاتم الأنبياء نبينا محمد ﷺ ؟ اللهم إنه الطعن الذي لا يصدر إلا من رجل مادّي مخرّف ومخرّب ومدمّر يريد هدم الأديان .

إن الرســول ﷺ ليس ببدع من الرسل في باب الوحي ، إنه أوحى إليه كما أوحى إليهم، وصدق الحق تبارك وتعالى حيث يقول : ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْــنَا إِلَــى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً﴾ (النساء:١٦٣). [٥٠]

والنتيــجة التي نصل إليها مما سبق: أنه ليس هناك أدنى شبهة في إصابته ﷺ بالصرع ، لأن كل من يعرف أعراض هذا المرض، وما له من آثار في شخصية المصاب ، ويعرف سيرة النبي ﷺ يستطيع أن يقول : إن هذا لزعم باطل ، وافتراء كاذب لا يستحق أن يأخذه المرء مأخذ الجد ، بل إن المرضى الحقيقيين هم المغرضون الذين يريدون النيل من النبي ﷺ ، وليس لهم مأرب إلا القدح في عصــمته ﷺ بإثارة الشبهات ، فلا النبي محمد ﷺ ولا أحد من الأنبياء قبله أصيب بمثل هذه الأمراض التي تتنافى مع العصمة التي الواجبة للأنبياء .

ثالثا : شبهة أن الوحي مقتبس من اليهودية والنصرانية والرد عليها

زعم كثير من المستشرقين أن الوحي عبارة عن تعاليم دينية انبثقت من اليهودية والنصرانية ، وغالبها عن طريق "ورقة بن نوفل"[٥١] ، و"بحيرا "[٥٢] ، و"نسطورا"[٥٣] ، وأن محمدا ﷺ قد تبنّى هذه التعاليم ، وكيّفها تكيفاً بارعاً وفقاً لمتطلبات شعبه الدينية .

فذهب "إميل در منغام " [٥٤] إلى أن محمدا التقى بورقة بن نوفل وأخذ عنه أصول دينه.[٥٥]

وذهب "جولد تسيهر" إلى القول بأن : (تبشير النبي العربي ليس إلا مزيجاً منتخباً من معارف وآراء دينــية ، عرفها أو استقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها، التي تأثر بها تأثراً عميقاً.... لقد تأثر بهذه الأفكار تأثراً وصل إلى أعماق نفسه ، وأدركها بإيحاء قوة التأثيرات الخارجــية ، فصــارت عقيدة انطوى عليها قلبه ، كما صار يعتبر هذه التعاليم وحياً إلهياً، فأصبح بإخلاص على يقين بأنه أداة لهذا الوحي..) . [٥٦]

ويقــول أيضا : (صار رهبان المسيحيين ، وأحبار اليهود موضع مهاجمة منه – يقصد النبي ﷺ – وقد كانوا في الواقع أساتذة له) . [٥٧]

وكذلـــك يقول: (النحلة البارسية الزرادشتية ، التي لاحظ الرسول وجود أنصار لها باسم المجوس إلى جانب اليهود والمسيحيين ، لم تمر دون أن تترك أثرا في شعور النبي العربي ، فقد قابلها بالوثنية ، وبالدين الموسوي والدين المسيحي أيضا ، وقد اتخذ عن البارسية تعليما هاما ، وهو إنكار يـــوم السبت على أنه يوم ارتاح الله فيه من العمل ، فصار راحة عامة ، وجعل يوم الجمعة هو يوم الاجتماع الأسبوعي ...) . (٥٨)

ويقـــول "مونـــتجمري وات" (٥٩) : (..ومن الأسهل أن نفترض أن محمدا كان على صلة متتابعة بورقة بن نوفل منذ فترة مبكرة سابقة على الوحي ، والأفكار الأساسية اللاحقة قد تكون اختلطت إلى حد كبير بأفكار ورقة ..) . (٦٠)

وكذلك أيضا : (لم يكن غريبا أن يلجأ محمد ﷺ لفهم ما يحدث له أثناء تجربة الوحي الأولى لأشخاص مثل ورقة بن نوفل الذي كان لديه علم قليل عن الوحي في التراثين اليهودي والمسيحي ....وقـــد تكـــون معلومات هؤلاء الأشخاص الذين لجأ لهم محمد ﷺ بسيطة وغامضة ، لكنها أسهمت في فهمه لمهمته الخاصة..) . (٦١)

ويقـــول "واشنطن إرفنج" (٦٢) : (ينسب الكثيرون معلومات محمد عن الدين المسيحي إلى محادثاته مع ذلك الراهب – يقصد بحيرى – ، وقد لعبت هذه المعلومات دورا كبيرا في حياة محمد فيما بعد) . (٦٣)

ويقـــول أيضـــا : (عاد محمد إلى مكة ، وقد تأثر خياله بالقصص والروايات التي سمعها في الصحراء ، وبأحاديث ذلك الراهب النسطوري ..) . (٦٤)

ويقـــول أيضا : (ويرجع له الفضل – يقصد ورقة– في ترجمة بعض أجزاء الكتب السماوية إلى اللغة العربية ، ولاشك أن محمدا قد اطلع عليها واستفاد مما جاء فيها) . (٦٥)

ويقـــول "ريتشـــارد بل" (٦٦) : الجانب الأكبر من المادة التي استعملها محمد ليفسر تعاليمه ويدعمها قد استمده من مصادر يهودية ونصرانية ، وقد كانت فرصته في المدينة للتعرف على ما في العهد القديم أفضل من وضعه السابق في مكة ، حيث كان على اتصال بالجاليات اليهودية في المدينة وعن طريقها حصل على قسط غير قليل من المعرفة بكتب موسى على الأقل . (٦٧)

ويقـــول "بروكلمان" : (وتأثرت اتجاهات النبى الدينية فى الأيام الأولى من مقامه فى المدينة، بالصلة التى كانت بينه وبين اليهود...) . (٦٨)

فانظر في هذه الأقوال لترى ما زعمه أصحابها من القول بأن النبي ﷺ قد تتلمذ على رهبان النصارى مثل ورقة بن نوفل، وبحيرا ، وأحبار اليهود الذين كانوا أساتذة له .

لكن كيف تم اتصال النبي ﷺ بهؤلاء ؟

يرى "بروكلمان" أن ذلك تم من خلال رحلاته، والذين عاشوا معه بعد إسلامهم.(٦٩)

ويمكن الرد على هذه الشبهة بما يلي :

أولاً : المتأمل في هذه الشبهة يرى أن هذا بعينه هو ما ردده جهال قريش من قبل حين قالوا كما حكاه القرآن : ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ (النحل:١٠٣)

ثانياً : لم يبين هؤلاء المستشرقون لنا أين كانت هذه الرحلات التي والتي التقى فيها النبي ﷺ بأحبار اليهود ، ورهبان النصارى ، ومتى كانت ؟ وكم مدة قضاها النبي ﷺ ليتلقى تلك الدروس حتى يستطيع أن يستوعبها ؟

إن ما زعمه هؤلاء من أن النبي ﷺ أخذ عن بحيرا ونسطورا ، زعم باطل ، لأن الثابت تاريخياً أن النبي ﷺ لم يلق "بحيراً" إلا مرة واحدة، حينما سافر إلى الشام، وكان معه عمه أبي طالب ، وكان عمره ﷺ حينئذ لا يتعدى اثنا عشرة سنة (٧٠) ولا يعقل أن يكون النبي ﷺ قد أخذ عنه شيئا وهو في هذه السن ، وما ذكره "بحيرا" لأبي طالب حينما رأى النبي ﷺ تظله سحابة من الشمس ، ورأى فيه بعض أمارات النبوة ، أن هذا الغلام سيكون له شأن عظيم ، فارجع به إلى بلده واحذر عليه من اليهود . (٧١)

إن تلك الروايات التاريخية التي تتحدث عن لقاء محمد ﷺ وبحيرا ونسطورا تحيل أن يقف كل منهما موقف المعلم المرشد لمحمد ﷺ، لأن في لقاء بحيرى بعمه قد بشره بالنبوة ، وفي لقاء نسطورا بميسره قال له يا ميسره : ما نزل تحت هذه الشجرة إلا نبي ، يا ميسره : في عينيه حمرة ؟ قال له نعم لا تفارقه ، قال الراهب : هو آخر الأنبياء ، فليس بمعقول أن يؤمن رجل بهذه البشارة التي يزفها، ثم ينصب نفسه أستاذاً لصاحبها الذي سيأخذ عن الله ، ويتلقى عن جبريل، ويكون هو هادى الهداة المرشدين ! وإلا كان كل الراهبين متناقضاً مع نفسه !

إن هذه التهمة لو كان لها نصيب من الصحة، لفرح بها قومه ، لأنهم كانوا أعرف الناس برسول الله ﷺ، وكانوا أحرص الناس على تبهيته وتكذيبه وإحباط دعوته بأية وسيلة . (٧٢)

ثالثاً : إن ما زعمه هؤلاء من أن النبي ﷺ كان يلتقي بورقة بن نوفل ، فيأخذ عنه ويسمع منه ، ثم يزعم بعد ذلك أنه أوحي إليه ،هو أيضاً زعم باطل ، لأن الرواية الصحيحة التي تثبت أن خديجة رضي الله عنها ذهبت به ﷺ حين بدأه الوحي إلى ورقة تقول :(فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزّى بن عم خديجة ، وكان امرأ تنصر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخا كبيرا قد عمي ، فقالت له خديجة : يا بن عم اسمع من بن أخيك ، فقال له ورقة يا بن أخي ماذا ترى ، فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى ، فقال له ورقة : هذا الناموس الذي نزّله الله على موسى ، يا ليتني فيها جذع ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك ، فقال رسول الله ﷺ :"أو مخرجي هم" ؟ قال نعم ، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي ، وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا ، ثم لم ينشب ورقة أن توفي ، وفتر الوحي) . (٧٣)

وفي هذه الرواية ما يبين بطلان مزاعم المستشرقين ، وذلك لما يأتي :

أ – أنه لم يثبت أن النبي ﷺ قد لقي ورقة قبل هذا اللقاء أو رآه .

ب – إن هـذا اللقـاء قد تمّ بعد مجيء الوحي إلى النبي ﷺ في الغار، ونزول صدر سورة "اقرأ" وقد حضرته خديجة رضي الله عنها ، وقد آمنت بنبوة محمد ﷺ بعد ذلك ، فلو كان حدث تعلّم وتلقّي في هذا اللقاء ، ما غاب ذلك عن بالها أبداً .

ج – إن موقف ورقة هنا كان موقف المبشر ، لا موقف المعلّم .

د – لم تذكر الروايات أن ورقة ألقى إلى النبي ﷺ عظة أو درساً في أمر من أمور العقيدة أو الشريعة ، وكذلك لم تذكر الروايات أن النبي ﷺ كان يتردد إليه حتى يستفيد منه .

هـ – إن ورقة لم يلبث أن توفى بعد هذا اللقاء ، فكيف يمكن أن يكون هذا اللقاء الخاطف بمثابة المعلّم للنبي ﷺ ؟

رابعاً : ما زعمه هؤلاء من أن النبي ﷺ تلقى الوحي من علماء أهل الكتاب في عصره ما هو إلا افتراء محض ، ذلك أن النبي ﷺ لم يكن عنده علم بمذاهب أهل الكتاب وعقائدهم قبل النبوة، ولو أن النبي ﷺ أخذ عن هؤلاء ، واستفاد منهم كما زعموا لردّوا عليه حينما عرض في صراحة لبطلان عقائدهم ، وفساد مذاهبهم ، قائلين له نحن الذين علّمناك ، فكيف تجحد فضلنا ، وتطعن في ديننا ؟ . (٧٤)

والمتأمل في محاورات القرآن الكريم وردوده على أهل الكتاب ، يستطيع أن يصل إلى نتيجة حتمية مؤداها : أنه لا يعقل أن يصفهم القرآن بذلك ، وهم بمثابة المرشد والمعلم للنبي ﷺ ، قال تعالى : ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (التوبة: ٣٠)

خامساً : مما يدل على دحض هذه الشبهة وأن الوحي لم يكن مقتبساً من اليهودية أو النصرانية ، مخالفة اليهود والنصارى في كثير من العقائد والأحكام ، وهذا يدل عليه أحاديث كثيرة، نذكر أمثلة منها ، كقوله ﷺ ﴿إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم﴾ .[٧٥]

وقوله ﷺ : ﴿خالفوا اليهود فإنهم لا يصلون في نعالهم ولا خفافهم﴾.[٧٦]

وكذلك الحديث الذي رواه أنس بن مالك رضي الله عنه ، أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم، لم يؤاكلوها، ولم يجامعهن في البيوت، فسأل الصحابة النبي ﷺ فأنزل الله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذىً فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (البقرة:٢٢٢) فقال رسول الله ﷺ : (اصنعوا كل شئ إلا النكاح) فبلغ ذلك اليهود فقالوا : "ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه".[٧٧] وفي هذا يقول ابن تيميه[٧٨] : (فهذا الحديث يدل على كثرة ما شرعه الله لنبيه من مخالفة اليهود، بل على أنه خالفهم فى عامة أمورهم ، حتى قالوا : ما يريد أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه) .[٧٩]

سادساً : ما زعموه من إرجاع كثير من شعائر الإسلام إلى اليهودية أو النصرانية، أو الاثنين معاً، زعم باطل ، لأن استدلالهم بصوم عاشوراء على موافقة اليهود فيه، فقد ثبت أن النبى ﷺ، كان يصوم عاشوراء فى الجاهلية قبل قدومه المدينة، فعن عائشة رضى الله عنها قالت : (كان يوم عاشوراء تصومه قريش فى الجاهلية، وكان رسول الله ﷺ يصومه، فلما قدم المدينة، صامه وأمر بصيامه، فلما فرض رمضان ترك يوم عاشوراء، فمن شاء صامه، ومن شاء تركه) [٨٠]، وفي رواية : (وكان يوم تستر فيه الكعبة) .

وكذلك فإن النبي ﷺ قد بيّن نوع المخالفة عندما شرع صيام يوم قبله، أو بعده، فحينما صام النبي ﷺ يوم عاشوراء ، وأمر بصيامه، قالوا : يا رسول الله إنه يوم تعظمه اليهود

والنصـــارى، فقال ﷺ : ﴿فإذا كان العام المقبل ، إن شاء الله ، صمنا اليوم التاسع﴾ فلم يأت العام المقبل ، حتى توفى رسول الله ﷺ .[٨١]

وبهـــذا يتضـــح أن وحـــى الله تعالى إلى النبيّ محمد ﷺ ، لم يكن مأخوذاً من اليهودية أو النصـــرانية، ولم يـــتأثر بغيره ، وّذا ما وجد بين ما جاء به محمد ﷺ وبين ما في شريعة اليهود أو النصارى ، فإن هذا ليدل على أن الدين الإلهي أصله واحد ، قال تعالى : ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّـــى بِـــهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ (الشورى:١٣)

رابعا : شبهة الغرانيق [٨٢]والرد عليها

تشبث بعض المستشرقين بقصة "الغرانيق" وقد اعتبروا أنها من أكثر الموضوعات التي أثارت جـــدلا في الفكر والتاريخ الإسلامي ، ومن أكثر الإشكالات التي مازالت تحرج المؤسسات الدينية الإسلامية ، وألصقوها بهجرة الحبشة، وجعلوها سبباً لعودة المهاجرين الأولين إلى مكة ، وقد اتخذ هـــؤلاء منها سلاحاً للطعن فى عصمة رسول الله ﷺ، من تسلط الشيطان عليه، وعصمته فى بلاغه لوحى الله تعالى.

ورغـــم أن هذه القصة قد بيّن علماء المسلمين قديماً وحديثاً زيفها وبطلانها، إلا أن ما يزال يوجد من ينتصر لها من المستشرَقين والمبشرين.

يقول "مونتجمري وات" : (...نجد على الأقل حقيقتين مؤكدتين ، أولاهما : أنه حدث ذات مرة أن قرأ محمد ﷺ هذه الآيات الشيطانية علنا باعتبارها جزءا من القرآن ...وثانيهما : أنه من المؤكد أن محمدا ﷺ قد أعلن بعد ذلك أن هذه الآيات الشيطانية ليست من القرآن الكريم ، وأن آيات أخرى قد حلّت محلّها تحمل مضمونا مختلفا تماما ...) .[٨٣]

ويقول أيضا : (..،من الضروري أن نجد أية مناسبة خاصة لهذه الآيات الشيطانية–الغرانيق– ولكنها قد تكون مجرد تعبير عن وجهات نظر طالما اعتقدها محمد ﷺ ...أليس ذكره لهذه الأوثان دليلا على أن رؤيته قد اتسعت ، أي أن نظره بدأ يتجه لأبعد من دعوة قريش؟).[٨٤]

ويقول نيازى عز الدين[٨٥] : (بعد نزول الآية : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى﴾ (النجم:١٩) ألقى الشيطان نتيجة لتمنى الرسول ﷺ، ألا ينزل الله تعالى ما يغضب قومه من قريش، لأنه كان

يطمع بإسلام بعض وجهائهم، فألقى الشيطان فى أمنية الرسول وفى ذهنه بعض الكلمات، فاعتقد أنها من الوحى، فطلب من كتبة الوحى تسجيله وكتابته فى نص القرآن الكريم ، وكانت كما يلى : "أفرأيتم اللات والعزى، تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى" فسر القرشيون من المشركين بذلــك، وسجدوا مع الرسول فى الصلاة، ولكن بعد فترة نزل جبريل، وعاتب الرسول، وصحح الآية، ناسخاً ما ألقى الشيطان).[٨٦]

وفي حديثه عن قوله تعالى : ﴿وَلا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلا تَكُونَــنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ* وَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْــمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (القصص:٨٧ – ٨٨) يقول : فمن معاني الآيات ... يتبين أن الله تعالى يكلّــم الرســول مــرة أخرى عن قصة الغرانيق، وأن شفاعتهن لترجى، ويوضح له كيف ألقاها الشــيطان إلى لسانه، فأدخلها الرسول خطأً في القرآن، إلى أن أتى جبريل، ونبهه على الموضوع، فنسخ تلك الآيات وأتى بدلاً عنها بخير منها: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى*وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى*أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى﴾ (النجم:١٩ – ٢١) ، وبين الله تعالى أسباب ذلك فى الآية : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (الحج:٥٢) .[٨٧]

وللرد على هذه الشبهة نقول :

أولاً : إن هذه القصة المختلقة تتنافى مع العصمة التي تعني الحفظ من الله تعالى لأنبيائه ورسله من الوقوع في الذنوب والمعاصي ، وارتكاب المنكرات والمحرمات ، وبالتالي فهي تعني ميزة الرسل في هذا الجانب عن سائر البشر ، ولا يتناقض هذا مع قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَــيَّ ﴾ (الكهف: من الآية ١١٠،وفصّلت من الآية٦) وذلك لأنها تابعة لخاصة الوحي إلى النبي ، لأنهــا وجبت له من منطلق أنه نبي يوحى إليه ، فهي إذن من متعلقات يوحى إليّ أو من لوازمها ، وحفظهــم مــن أن تقع منهم مخالفة لأمر الله تعالى ، ومن جهة أخرى فالعصمة أمر لازم لسلامة القدوة بهم التي هي أمر إلهي .

يقــول الشــيخ رشيد رضا : (إذا كان إرسال الأنبياء إلى البشر لأجل هدايتهم إلى تزكية أنفســهم بما تصلح به أحوالهم في دنياهم ، ويستعدّون به لحياة أعلى من هذه الحياة الدنيا في نشأة أخــرى ، فلا يتم هذا الغرض ولا تتحقق هذه الحكمة إلا إذا كان هؤلاء الأنبياء أهلا لأن يقتدى

بهـم في أعمالهم وسيرتهم ، والتزام الشرائع والآداب التي يبلغونها عن ربهم ، ومن ثمّ قال علماؤنا بوجوب عصمة الأنبياء من المعاصي والرذائل ، وبالغ بعضهم فيها حتى قالوا بعصمتهم من الذنوب الصـغائر كالكبائر قبل النبوة وبعدها ، وخص بعضهم العصمة من الصغائر بما كان باعثه الخسّة والدناءة) .[٨٨]

ثانياً : بطلان هذه القصة من جهة النقل ومن جهة العقل .

أما من جهة النقل :

١ – فإن هذه القصة مخالفة للقرآن الكريم ، وذلك لما يأتي :

أ – قـال تعالى : ﴿ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾ (يونس: من الآية١٥)،وقال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى*إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾(النجم:٣، ٤)، وقال تعالى : ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ* لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ* ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ (الحاقة: ٤٤ – ٤٦) ،وقـال تعالى : ﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾(الفرقان: من الآية٣٢) ، وقال تعالى : ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسَى﴾ (الأعلى:٦) .

فأنت ترى معي أن في سياق هذه الآيات ما يدل على أن الرسول ﷺ لم يأت بأي كلام من عنده ، كما تؤكد الآيات على عصمته ﷺ في تبليغ وحي الله ، وأن كلامه لا يخرج عن الحق .

ب – قوله تعالى : ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى* وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى* أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى* تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَى* إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى ﴾ (النجم:١٩–٢٣)

فقد جاءت الآيات بهذا الأسلوب الإنكاري ، التوبيخي ، التهكمي بالأصنام وعابديها ، ولو أن القصة صحيحة لما كان هناك تناسب بين هذه الآيات-وبين ما قبلها ، وما بعدها ، ولكان النظم مفككـا والكلام متناقضا ، وكيف يطمئن السامعون إلى مثل هذا التناقض ، وهم أهل اللسان من الفصاحة والبلاغة والبيان ، بل إنه لا يخفى عليهم مثل هذا ، لا سيّما وأن أعداءه يتلمسون لـه العـثرات والزلات ، فلو أن ما روي كان واقعا لثارت ثائرة مكة ، ولاتخذ منه اليهود بعد الهجرة متكأ يستندون إليه في الطعن والتشكيك في عصمته ﷺ ، ولكن مثل هذا لم يحدث .[٨٩]

ج – قوله تعالى : ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ (الحجر: ٤٢) ، وقوله تعالى : ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾(النحل:٩٩) .

ففي هاتين الآيتين دليل على أن الشيطان ليس له سلطان إلا على من اتبعه من الغاوين ، وإنه لا يستطيع أن يفرض سلطانه على الذين آمنوا وعلى المتوكلين على الله ، وهل هناك بشر أصدق إيمانا وأشد توكلا على الله تعالى من الأنبياء ولا سيّما خاتمهم ﷺ ، وقد أقر زعيم الشياطين بأنه لـــيس له سلطان على عباد الله المخلصين ، كما قال تعالى : ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ* إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ (ص: ٨٢،٨٣)

ومـــن أحق من الأنبياء بالاصطفاء؟ ومن أشد إخلاصا منهم ، وعلى رأس المصطفين الأخيار محمد ﷺ ، ومن ثَمّ فإن ما زعمه هؤلاء في هذه القصة إن هو إلا افتراء محض .

٢ – إن هـــذه القصـــة مخالفة للسنة النبوية فقد طعن فيها كثيرون من المحدّثين ومن المحققين الذين جمعوا بين المعقول والمنقول ومن هؤلاء :

أ – القاضي عياض حيث يقول : (إن هذا الحديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة، ولا رواه ثقة بسند سليم متصل، وإنما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون، المولعون بكل غريب، المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم... ومن حكيت هذه الحكاية عنه من المفسرين التابعين لم يسندها أحـــد منهم ولا رفعها إلى صاحب، وأكثر الطرق عنهم فيها، ضعيفة واهية، والمرفوع فيه حديث ...ابن عباس) . (٩٠)

ويستشـــهد القاضـــي عياض على أن القصة ضعيفة ومتنها مضطرب بقول القاضى بكر بن العلاء المالكى– : (لقد بلى الناس ببعض أهل الأهواء والتفسير، وتعلق بذلك الملحدون، مع ضعف نقلته واضطراب رواياته، وانقطاع إسناده، واختلاف كلماته : فقائل يقول إنه فى الصلاة، وآخر يقول : قالها فى نادى قومه، حيث أنزلت عليه السورة، وآخر يقول : قالها وقد أصابته سنة، وآخر يقـــول : بـــل حدث نفسه فسها، وآخر يقول : إن الشيطان قالها على لسانه، وأن النبي ﷺ لما عرضـــها على جبريل، قال : ما هكذا أقرأتك، وآخر يقول : بل أعلمهم الشيطان أن النبي ﷺ قرأها، فلما بلغ النبي ﷺ ذلك قال:والله ما هكذا نزلت،إلى غير ذلك من اختلاف الرواة).(٩١)

ب – وقال الإمام ابن حزم : (وأما الحديث الذي فيه "وإنهن الغرانيق العلا، وإن شفاعتهن لترتجى" فكذب بحت موضوع، لأنه لم يصح قط من طريق النقل، ولا معنى للاشتغال به، إذ وضع الكذب لا يعجز عنه أحد) . (٩٢)

ج – وقال الإمام الرازي : (أهل التحقيق قالوا : هذه الرواية باطلة موضوعة) .

وقد ذكر الإمام الرازي أن الحافظ ابن خزيمة لما سئل عن هذه القصة فقال : هذا وضع من الـــزنادقة، وصنف فيه كتاباً، كما ذكر الإمام الرازي أيضا قول الإمام البيهقى : هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل، وأن رواة هذه القصة مطعون فيهم .(٩٣)

د – وقال الإمام ابن كثير : (قد ذكر كثير من المفسرين ههنا قصة الغرانيق ، وما كان من رجـــوع كثير من المهاجرة إلى أرض الحبشة ظنا منهم أن مشركي قريش قد أسلموا ، ولكنها من طرق كلها مرسلة ، ولم أرها مسندة من وجه صحيح ، والله أعلم) .(٩٤)

هـــــ – وقـــال الشـــيخ محمد الصادق عرجون بعد تفنيده للروايات التى ذكرها الإمام الســـيوطى ورده علـــيها : (ليس فى روايات فرية الغرانيق، رواية قط متصلة الإسناد على وجه الصـــحة، ولم يذكر فى جميع الروايات صحابى قط على وجه موثق، وما ذكر فيه باسم ابن عباس، فكلها ضعيفة واهية خلا رواية سعيد بن جبير على الشك فى إسنادها ... والشك يوهيها) .(٩٥)

وأما من جهة العقل فإنه قد قام الدليل العقلي على بطلان القصة وذلك لما يأتي :

أ – إن من جوّز على الرسول ﷺ تعظيم الأوثان فقد كفر ، لأن من المعلوم بالضرورة أن أعظم سعيه كان في نفي الأوثان .

ب – أنه ﷺ ما كان يمكنه في أول الأمر أن يصلّي ، ويقرأ عند الكعبة آمنا أذى المشركين لـــه حتى كانوا ربما مدّوا أيديهم إليه ، وإنما كان يصلي إذا لم يحضروها ليلا أو في أوقات خلوة ، وهذا يبطل قولهم .

ج – أن معـــاداتهم للرسول ﷺ كانت أعظم من أن يقرّوا بهذا القدر من القرآن دون أن يقفـــوا على حقيقة الأمر ، فكيف أجمعوا على أنه عظّم آلهتهم حتى خرّوا سجدا ، مع أنه لم يظهر عندهم موافقته لهم .

د – إن إحكـــام الآيات بإزالة ما يلقيه الشيطان عن الرسول ﷺ ، أقوى من نسخه بهذه الآيات التي تبقى الشبهة معها ، فإذا أراد الله تعالى إحكام الآيات لئلا يلتبس ما ليس بقرآن مع ما هو قرآن ، فمنعه الشيطان من ذلك أصلا أولى .

هـــــ – إنه لو جوّزنا مثل وقوع هذه القصة ، لارتفع الأمان عن شرعه تعالى ، ولجوّزنا في كل واحد من الأحكام والشرائع أن يكون كذلك ، ويبطل قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا

﴿أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾(المائدة: من الآية٦٧) ، وهذا غير جائز ، بل هو ممتنع أصلا .[٩٦]

ثالثاً : مخالفة القصة لحقائق تاريخ السيرة العطرة، ذلك أن سورة النجم تتحدث عن المعراج، والمعراج كان بعد السنة العاشرة من البعثة باتفاق ، أما قصة الغرانيق فإن رواياتها تبين أنها كانت في السنة الخامسة للبعثة، إبان الهجرة الأولى للحبشة، فى رمضان منها ، وهذا ما يؤكد بطلان تلك المرويات، ويحقق وضعها على رسول الله ﷺ .

رابعاً : إن قصة الغرانيق لم يخرجها أحد من أصحاب الصحاح، ولا أحد من أصحاب الكتب المعتمدة كالسنن الأربعة ، ومسند الإمام أحمد ، والذي رواه البخاري في صحيحه عن ابن عباس : (سجد النبي ﷺ بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون، والجن، والإنس).[٩٧]

وفى رواية عن ابن مسعود قال : (أول سورة أنزلت فيها سجدة "والنجم" قال : فسجد رسول الله ﷺ، وسجد من خلفه، إلا رجلاً رأيته أخذ كفاً من تراب فسجد عليه، فرأيته بعد ذلك قتل كافراً، وهو أمية بن خلف) .[٩٨]

فهنا نرى أن الإمام البخاري قد اقتصر على الجزء الصحيح ، وليس فيه قصة الغرانيق .

لكن هنا تساؤل : كيف سجد المشركون وهم يمارون في الوحي والقرآن ، وهم يجادلون في الله والرسول، وقد رفضوا السجود لله ؟ كما قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُوراً) (الفرقان:٦٠)

والجواب : إن سجود أهل الشرك كان لما سمعوه من أسرار البلاغة الفائقة، والفصاحة البالغة، وعيون الكلم، الجوامع لأنواع من الوعيد والإنكار، والتهديد والإنذار، وقد كان العربي يسمع القرآن فيخر له ساجداً .[٩٩]

وفي ذلك يقول الأستاذ سيد قطب : (إن حادث السجود صحيح ، وان تعليله قريب ، إنه كامن في ذلك السلطان العجيب لهذا القرآن ، ولهذه الإيقاعات المزلزلة في سياق هذه السورة...

إن الذي كان يقرأ هو محمد ﷺ النبي الذي تلقى هذا القرآن مباشرة من مصدره، وعاشه وعاش به، وأحبه حتى لكان يثقل خطاه إذا سمع من يرتله داخل داره ، ويقف إلى جانب الباب يسمع له حتى ينتهي ! وفى هذه السورة بالذات كان يعيش لحظات عاشها في الملأ الأعلى، وعاشها مع الروح الأمين، وهو يراه على صورته الأولى ....

إن أولئك المشركين لم تكن قلوبهم ناجية من الرعشة والرجفة، وهم يستمعون إلى محمد ﷺ إنما كان العناد المصطنع هو الذى يحول بينهم وبين الإذعان ....

ومـــثل هؤلاء إذا استمعوا إلى سورة النجم من رسول الله ﷺ فأقرب ما يحتمل أن تصادف قلوبهم لحظة الاستجابة التى لا يملكون أنفسهم إذاءها، وأن يأخذوا بسلطان هذا القرآن؛ فيسجدوا مع الساجدين بلا غرانيق ولا غيرها من روايات المفترين) .[١٠٠]

خامساً : يجب التنويه إلى أن بعض المفسرين والمحدّثين الذين ذكروا قصة الغرانيق فى كتبهم، وقرروا قبول سندها ، ذكروها مع ردهم لما جاء فيها من مدح الأصنام وتأويلهم لها .

فقد قال الإمام ابن حجر العسقلاني – بعد تصريحه القاطع في الحكم على روايات القصة بأنها ضعيفة واهية– : (لكن كثرة الطرق تدل على أن للقصة أصلاً، مع أن لها طريقين آخرين مرسلين رجالهمـــا عـــلى شـــرط الصحيحين، أحدهما : ما أخرجه الطبري عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، والثاني : ما أخرجه أيضا عن أبي العالية).[١٠١]

لكن وجدناه بعد ذلك يقول : (فإن الطرق إذا كثرت وتباينت مخارجها دل ذلك على أن لها أصـــلاً، وقد ذكرت أن ثلاثة أسانيد منها على شرط الصحيح، وهى مراسيل يحتج بمثلها من يحتج بالمرســـل، وكذا من لا يحتج به لاعتضاد بعضها ببعض، وإذا تقرر ذلك تعين تأويل ما وقع فيها مما يستنكر، وهو قوله : "ألقى الشيطان على لسانه : تلك الغرانيق العلا، وإن شفاعتهن لترتجى" فإن ذلك لا يجوز حمله على ظاهره لأنه يستحيل عليه ﷺ أن يزيد في القرآن عمداً ما ليس منه، وكذا سهواً، إذا كان مغايراً لما جاء به من التوحيد لمكان عصمته).[١٠٢]

فهل يا ترى يمكن الاحتجاج بالحديث المرسل ؟ [١٠٣]

أ – إن جمهور المحدّثين لم يحتجوا بالمرسل، وجعلوه من قسم الضعيف لاحتمال المحذوف غير صحابي ، وحينئذ يحتمل أن يكون ثقة أو غير ثقة ، وعلى ذلك فلا يؤمن أن يكون كذابا .

ب – ذهـــب الإمـــام مسلم إلى أن : (المرسل من الروايات في أصل قولنا وقول أهل العلم بالأخبار ليس بحجة) . [١٠٤]

ج – ذهب الإمام الشافعي والمحدثين أو جمهورهم وجماعة من الفقهاء أنه لا يحتج بالمرسل ، ومذهـــب مالك وأبي حنيفة وأحمد وأكثر الفقهاء أنه يحتج به ، ومذهب الشافعي أنه إذا انضم إلى المرسل ما يعضده احتج به . [١٠٥]

د – قال ابن الصلاح : اعلم أن حكم المرسل حكم الحديث الضعيف، إلا أن يصح مخرجه من وجه آخر، وما ذكرناه من سقوط الاحتجاج بالمرسل، والحكم بضعفه هو المذهب الذي استقر عليه آراء جماهير حفاظ الحديث ، ونقاد الأثر. (١٠٦)

هـ – الاحتجاج بالمرسل – إذا وجد ما يعضده – إنما هو في فروع الدين التي يكتفى فيها بالظن ، أما الاحتجاج به على شيء يصادم العقيدة ، وينافي دليل العصمة فغير مسلّم ، وقد قال علماء التوحيد : إن خبر الواحد لو كان صحيحا لا يؤخذ به في العقائد ، لأنه لا يكتفى فيها إلا بما يفيد اليقين ، فما بالك بالضعيف أو المختلف فيه . (١٠٧)

وبعد هذا يمكن أن يقال : إن نسج القصة مهما تأوّل فيه المتأولون وحاولوا إثبات أن لها أصلا مهلهل متداع ، لا يثبت أمام البحث ، وإن أغلب البلاء دخل على الإسلام من المنقطعات والمراسيل ، وهذا كله يدعونا إلى القول بأن قصة الغرانيق مكذوبة ، اختلقها الذين يريدون إفساد الدين ، عن طريق الطعن في الوحي ، والطعن في عصمة سيد الأنبياء وإمام المخلصين ﷺ.

والخاتمة

من كل ما سبق يتبين لنا أن الوحي حقيقة مؤكدة ، رضي المستشرقون أم أبو،والمتأمل في هذه الشبه يرى أن أصحابها قد أسرفوا في النشاط لكيد الإسلام وطمس حقيقة من حقائقه المتمثلة في الوحي ، يلاحظ مدى تحيّر أصحابها ، وترددهم واضطرابهم، في تحديد المصدر الذي صدر عنه الوحي إلى رسول الله ﷺ فمرة يقولون كذا، ومرة يقولون كذا، كما اتضح من الشبه السابقة، ولا ريب أن دحض مثل هذه الشبهات نوع من الجهاد الذي يجب على كل قادر عليه أن يقوم به، وإن شئت أن تطلع على هذه الصورة المضحكة من هذه البلبلة الجدلية التي أثارها هؤلاء ، فاقرأ وصفها في قوله تعالى : ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ (الأنبياء: من الآية٥)

فهذا يصوّر لك مقدار ما أصابهم من الاضطراب في رأيهم ، ويريك صورة شاهد الزور إذا شعر بحرج موقفه ، كيف يتقلب ذات اليمين وذات الشمال ، وكيف تتفرق به السبل في تصحيح ما يحاوله من محال ، وصدق الله إذ يقول : ﴿انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً﴾ (الإسراء:٤٨، الفرقان:٩) .

وإذا كان المستشرقون يتحيرون ويضطربون في تحديد مصدر الوحي، فإنهم بذلك يتحيرون ويتناقضون ، ويطعنون في نبوة سيدنا رسول الله ﷺ .

ثبت المراجع

أولا : القرآن الكريم .

ثانيا : كتب السنة .

ثالثا باقي المراجع مرتبة على حسب حروف المعجم ، وهي كالتالي :

١. آراء المستشرقين حول القرآن وتفسيره د/عمر إبراهيم رضوان ط أولى ١٩٩٢م دار طيبة بالسعودية.

٢. الاستشراق دراسة تحليلية تقويمية،د/محمد عبد الله الشرقاوي، ط دار الفكر العربي بالقاهرة.

٣. الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ، د/محمود حمدي زقزوق ط دار المعارف بالقاهرة .

٤. الإسلام في تصورات الغرب ، د/ محمود حمدي زقزوق ط ١٩٨٧م مكتبة وهبة بالقاهرة.

٥. الإسلام والرسول في نظر منصفي الشرق والغرب،أحمد آل بوطامى ط ثالثة مطابع قطر الوطنية بالدوحة .

٦. الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر ، مونتجمري وات ، ترجمة د/عبد الرحمن عبد الله الشيخ ط ٢٠٠١م الهيئة المصرية العامة بالقاهرة .

٧. الإصابة في تاريخ الصحابة،الحافظ ابن حجر العسقلاني ط أولى ١٩٩٢ دار الجيل بيروت.

٨. اقتضاء الصراط المستقيم ، الإمام ابن تيمية ط ثانية مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة .

٩. إنذار من السماء ، نيازي عز الدين ط أولى ١٩٩٦م الأهالي للطباعة بيروت .

١٠. تاريخ الشعوب الإسلامية ، كارل بروكلمان ط سادسة دار العلم بيروت .

١١. تفسير القرآن العظيم ، الإمام ابن كثير ط أولى ١٩٩٨م دار الكلمة بالمنصورة .

١٢. التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي ط دار الغد العربي بالقاهرة .

١٣. حضارة العرب لجوستاف لبون ترجمة عادل زعيتر ط الهيئة العامة للكتاب بالقاهرة .

١٤. حياة محمد ، إميل در منغام ، ترجمة عادل زعيتر ط ثانية ١٩٩٨م عيسى البابي الحلبي بالقاهرة .

١٥. حياة محمد، واشنطن إرفنج ترجمة د/على حسني الخربوطلي ط ثانية ١٩٦٦م دار المعارف بالقاهرة .

١٦. سيرة الرسول ﷺ فى تصورات الغربيين د/ محمود زقزوق ط أولى ١٩٨٧م مكتبة وهبه بالقاهرة

١٧. السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة د/محمد أبو شهبة ط أولي دار القلم بيروت.

١٨. شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار طبعة ثانية ١٩٨٨ مكتبة وهبة.

١٩. العقيدة الإسلامية وأسسها،عبد الرحمن حبنكة الميداني ط ١٢، ٢٠٠٤م دار القلم دمشق.
٢٠. العقـــيدة والشريعة فى الإسلام اجناس جولدتسيهر ترجمة د/محمد يوسف موسى وآخرين ط ١٩٤٦ دار الرائد العربي بيروت . ٠
٢١. الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ط السلام العالمية بالقاهرة .
٢٢. فى ظلال القرآن ط سابعة ١٩٧١م دار احياء التراث العربي بيروت .
٢٣. لسان العرب،ابن منظور ط دار المعارف بالقاهرة.
٢٤. مباحث في علوم القرآن ، صبحي الصالح ط دار العلم للملايين .
٢٥. محمد رسول الله ﷺ ، الشيخ محمد الصادق عرجون ط ثانية ١٩٩٥م دار القلم بيروت .
٢٦. محمـــد في مكـــة ، مونتجمري وات ، ترجمة د/عبد الرحمن الشيخ ، حسن عيسى ط ٢٠٠٢م الهيئة المصرية العامة بالقاهرة.
٢٧. المستشرقون لنجيب العقيقي ط رابعة دار المعارف بالقاهرة .
٢٨. المستشرقون والإسلام،زكريا هاشم ط ١٩٦٥ المجلس العلى للشئون الإسلامية بالقاهرة.
٢٩. مفاتيح الغيب ، فخر الدين الرازي ط أولى دار الغد العربي بالقاهرة .
٣٠. مـــناهج المستشـــرقين فى الدراسات العربية الإسلامية لجماعة من العلماء ط١٩٨٥م مكتب التربية العربي بالرياض .
٣١. مـــناهل العـــرفان فى علوم القرآن ، الشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى ط دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة.
٣٢. المنقذ من الضلال ، الإمام الغزالي تحقيق د/عبد الحليم محمود ، ط دار الكتب الحديثة بالقاهرة .
٣٣. النبأ العظيم للدكتور محمد دراز ط ١٩٩٦م دار القلم بالقاهرة .
٣٤. الوحـــي القرآني في المنظور الاستشراقى ونقده للدكتور محمود ماضى ط أولى ١٩٩٦م دار الدعوة بالإسكندرية .
٣٥. الوحي المحمدي ، الشيخ محمد رشيد رضا ط سادسة ١٩٦٠ القاهرة .

إلى غير ذلك من المراجع المذكورة في ثنايا البحث .

الهوامش:

(١) الاستشـــراق تعـبير يــدل على الاتجاه نحو الشرق ، ويطلق على كل ما يبحث في أمور الشرقيين وثقافـــتهم وتاريخهم ، ويقصد به ذلك التيار الفكري الذي يتمثل في إجراء الدراسات المختلفة عن الشرق الإســـلامي ، والـــتي تشـــمل حضـــارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته ، ولقد أسهم هذا التيار في صياغة التصـــورات الغربية عن الشرق عامة والعالم الإسلامي بصورة خاصة ، معبرا عن الخلفية الفكرية للصراع الحضاري بينهما .

(٢) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص ٥٦٣ طبعة ثانية ١٩٨٨ مكتبة وهبة.

(٣) راجـــع : لسان العرب ، ابن منظور ج٦ ص ٤٧٨٧ ط دار المعارف بالقاهرة ، والوحي المحمدي ، محمد رشيد رضا ص ٣٤ ط سادسة ١٩٦٠ القاهرة .

(٤) راجع: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني ص ٥١٤.

(٥) راجع : الوحي المحمدي ، محمد رشيد رضا ص٢٤، وتأويل مشكل القرآن ابن قتيبة ص٣٧٣.

(٦) العقـــيدة الإسلامية وأسسها ، عبد الرحمن حبنكة الميداني ص٤٥٦ ط ثانية عشر٢٠٠٤م دار القلم دمشق .

(٧) رسالة التوحيد / محمد عبده تحقيق د / محمد عمارة ص ١٠٣ .

(٨) راجع : مباحث في علوم القرآن ، صبحي الصالح ص ٥٠ ط دار العلم للملايين .

(٩) راجع : مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني ج١ ص١٤-١٦ .

(١٠) راجع : العقيدة الإسلامية وأسسها ص ٤٦٠ .

(١١) البخاري في صحيحه ج١٢ ص٣٦٨ ، فتح الباري .

(١٢) راجع : العقيدة الإسلامية وأسسها ص ٤٦٠ ، ٤٦١ .

(١٣) راجـــع:المنقذ من الضلال،الإمام الغزالي ص١٣٤، ت. د/عبد الحليم محمود ط دار الكتب الحديثة بالقاهرة.

(١٤) هو : كارل بروكلمان، مستشرق ألماني، تعلم اللغة العربية، وكان عالماً بتاريخ الأدب العربي، وعضو المجمع العربي. مات سنة ١٩٥٦م راجع : الإعلام للزركلي ج٥/٢١١، ٢١٢ .

(١٥) هو : أمية بن عبد الله بن أبي الصلت بن أبي ربيعة بن عوف الثقفي، شاعر جاهلي من أهل الطائف، وقد لقي النبي ﷺ، ولم يؤمن به، مات سنة ٥هـــ راجع: البداية والنهايةج ٢٠٥/٢ – ٢١٣ .

(١٦) تاريخ الشعوب الإسلامية ، كارل بروكلمان ص٣٦ ط سادسة دار العلم بيروت .

(١٧) النبأ العظيم للدكتور محمد دراز هامش ص٦٧ ط ١٩٩٦م دار القلم بالقاهرة .

(١٨) راجع : مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي ج٣١ ص٢٤٥،٢٤٤ ط أولى دار الغد العربي بالقاهرة.

(١٩) الوحي المحمدي ، محمد رشيد رضا ص ٩١ .

(٢٠) راجع : الوحى المحمدى لمحمد رشيد رضا ص٩٣ .

(٢١) راجع : الوحي المحمدي ص٩٩ .

(٢٢) أخرجه البخاري في صحيحه ج١ ص٣١،٣٠ ، ج٨ ص٥٨٥ ،ومسلم في صحيحه ج١ ص٤٧٥،٤٧٤ .

(٢٣) أخرجه البخارى في صحيحه ج٦ ص٣٥٢ ، ج٨ ص٢٨٢ ، ج١٣ ص٤٤٥ ، من حديث ابن عباس ﷺ .

(٢٤) راجع : مناهج المستشرقين فى الدراسات العربية الإسلامية لجماعة من العلماء ،ج١ ص٢٧ ط١٩٨٥م مكتب التربية العربي بالرياض .

(٢٥) مستشرق مجرى يهودى، عرف بعدائه للإسلام، وبخطورة كتاباته عنه، توفى سنة ١٩٢١م ، راجع: الأعلام للزركلى ج١ ص٢٨٤ .

(٢٦) العقيدة والشريعة فى الإسلام اجناس جولدتسيهر ص٧ ترجمة د/محمد يوسف موسى وآخرين ط ١٩٤٦ دار الرائد العربي بيروت . .

(٢٧) هو : الويس اشبرنجر، مستشرق نمساوى الأصل تجنس بالجنسية البريطانية، عمل أستاذا للغات الشرقية في جامعة برن بسويسرا توفى سنة ١٨٩٣م ، راجع: الأعلام ج٢ ص٨ ، والمستشرقون لنجيب العقيقي ج٢ ص٦٣١، ٦٣٢ .

(٢٨) مستشرق ألماني ، كان أستاذا للغات الشرقية ، توفى سنة ١٨٨٩م ،راجع : آراء المستشرقين حول القرآن وتفسيره د/عمر إبراهيم رضوان ج١ ص٢٢٩ ط أولى ١٩٩٢م دار طيبة بالسعودية .

(٢٩) راجع: آراء المستشرقون حول القرآن وتفسيره ج١ ص٣٩٨ .

(٣٠) راجع : الإسلام والمستشرقين لنخبة من العلماء ص٢٠٢ ، والاستشراق دراسة تحليلية تقويمية ، د/محمد عبد الله الشرقاوي ص١٣٥ ، ط دار الفكر العربي بالقاهرة . .

(٣١) راجع : الإسلام في تصورات الغرب ، د/ محمود حمدي زقزوق ص٩٢ ط ١٩٨٧م مكتبة وهبة بالقاهرة، وكذا سيرة الرسول ﷺ فى تصورات الغربيين للدكتور محمود زقزوق ص٢٠ ط أولى ١٩٨٧م مكتبة وهبه بالقاهرة ، وكذا الوحي القرآني فى المنظور الاستشراقى ونقده للدكتور محمود ماضى ص١٠٩ ط أولى ١٩٩٦م دار الدعوة بالإسكندرية .

(٣٢) حضارة العرب لجوستاف لبون ترجمة عادل زعيتر ص١١٤ ط الهيئة العامة للكتاب بالقاهرة .

(٣٣) مستشرق ألماني عمل أستاذا للغات السامية والتاريخ الإسلامي ، وكان متضلعا في لغات كثيرة كالعربية والسامية والفارسية والتركية والألمانية والإنجليزية والفرنسية ، توفى سنة ١٩٣٠ .

(٣٤) راجع : الاستشراق دراسة تحليلية تقويمية ، د/ محمد عبد الله الشرقاوي ص ١٣٦ .

(٣٥) التفسير الكبير ج١٣ ص١٥ .

(٣٦) في ظلال القرآن ج٦ ص٦٥٩ .

(٣٧) هـو ركانـة بـن يـزيد بـن هاشم القرشي ، كان من أشد الناس، مات فى أول خلافة معاوية سنة ٤٢هـ .

(٣٨) راجـع : الإصابة في تاريخ الصحابة،ابن حجر العسقلاني ج٢ ص٤٩٧ ط أولى ١٩٩٢ دار الجيل بيروت.

(٣٩) أخـرجه الـبخارى في صحيحه ج٣ ص١٠٥١ ، ١٠٥٤ ، ١٠٧١، ١١٠٧، ج٤ ص١٥٦٨ ، ومسلم في صحيحه ج٣ ص١٤٠٠ ، ١٤٠١ من حديث البراء بن عازب رضى الله عنه.

(٤٠) أخـرجه أحمد فى مسنده ج٣ ص ٣٧٦،وابن حبّان في صحيحه ج١١ ص٩٥،وكليهما من حديث جابر ﷺ .

(٤١) مستشرق انجليزي مسيحي زار الجزيرة العربية ودرس عادات القبائل فيها .

(٤٢) راجـع : المستشرقون والإسلام،زكريا هاشم ص ٣١٦ ط ١٩٦٥ المجلس العلى للشئون الإسلامية بالقاهرة.

(٤٣) مستشـرق ألـمانى، من كبار أطباء العيون العالميين، وفى طليعة مؤرخى الطب العربي؛ تعد اكتشافاته فيه، وكتابته عنه، بالفرنسية والإنجليزية والألمانية، مرجعاً دقيقاً وافياً، توفى بالقاهرة سنة ١٩٤٥م.

(٤٤) الإسـلام والرسول فى نظر منصفى الشرق والغرب،أحمد آل بوطامى ص١٦٢ ط ثالثة مطابع قطر الوطنية بالدوحة .

(٤٥) راجـع : السيرة النبوية في ضوءِ القرآن والسنة د/محمد أبو شهبة ج١ ص٢٧٥ ط أولي دار القلم بيروت.

(٤٦) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه ج١ ص٤ ، ومسلم في صحيحه ج٤ ص١٨٦٦ .

(٤٧) الحديـث أخـرجه البخاري في صحيحه ج١ ص٢٧ ، ج٤ ص١٧٩٣ ، وكذا أخرجه مسلم في صحيحه ج١ ص٣٧ ، ٣٩، ٤٠ .

(٤٨) هو دحية بن خليفة الكعبي شهد مع رسول الله ﷺ المشاهد كلها ما عدا بدر ، وكان من أجمل الناس ، والحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده ج٢ ص١٠٧ .

(٤٩) راجع : السيرة النبوية ، د/ محمد أبو شهبة ج١ ص٢٧٦ – ٢٧٨.

(٥٠) راجع : السيرة النبوية ، د/ محمد أبو شهبة ج١ ص ٢٧٩ .

(٥١) هو ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ، كان نصرانيا قد تتبع الكتب من أهلها ، حتى علم علما مـن أهل الكتاب،راجع:البداية والنهاية لابن كثير ج١ ص٧٣٥ ، والسيرة النبوية لابن هشام ج١ ص١٣٩.

(٥٢) بحـيرا : بفتح الباء وكسر الحاء،راهب،قيل:كان يهودياً،وقيل:كان نصرانياً يقال له جرجيس، لقيه النبي ﷺ قبل البعثة، راجع : البداية والنهاية ج١ ص٧٢٣، ٧٢٤ .

(٥٣) هو راهب من الرهبان اطلع إلى محمد ﷺ وهو في صحبة غلام خديجة ميسرة .

(٥٤) ويكتب أحيانا درمنجم وكلاهما صحيح ، وهو مستشرق فرنسي ، له كتاب حياة محمد .

(٥٥) راجع : حياة محمد ، إميل در منغام ، ترجمة عادل زعيتر ص١٢٥، ١٢٦، ط ثانية ١٩٩٨م عيسى البابي الحلبي بالقاهرة .

(٥٦) العقيدة والشريعة فى الإسلام ص٥، ٦ .

(٥٧) العقيدة والشريعة ص ١٣ ، ١٤ .

(٥٨) العقيدة والشريعة ص١٩ .

(٥٩) مستشرق انجليزي متخصص في الدراسات الإسلامية في الغرب ، له مؤلفات كثيرة في هذا المجال .

(٦٠) محمد في مكة ، مونتجمري وات ، ترجمة د/عبد الرحمن الشيخ ، حسن عيسى ص١٢١ ط ٢٠٠٢م الهيئة المصرية العامة بالقاهرة.

(٦١) الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر ، مونتجمري وات ، ترجمة د/عبد الرحمن عبد الله الشيخ ص٨٩ ط ٢٠٠١م الهيئة المصرية العامة بالقاهرة .

(٦٢) مستشرق أمريكي، من أعلام الكتاب الأمريكيين، صدر كتابه حياة محمد في نيويورك عام ١٨٤٩م.

(٦٣) حياة محمد ، واشنطن إرفنج ترجمة د/على حسني الخربوطلي ص ٤٨ ط ثانية ١٩٦٦م دار المعارف بالقاهرة .

(٦٤) حياة محمد ، واشنطن إرفنج ص ٤٨ .

(٦٥) حياة محمد ، واشنطن إرفنج ص٥٦ .

(٦٦) مستشرق انجليزي ، عمل أستاذا للغة العربية في جامعة أدنبره .

(٦٧) راجـــع : الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ، د/محمود حمدي زقزوق ص ٨٨ ، ٨٩ ط دار المعارف بالقاهرة .

(٦٨) تاريخ الشعوب الإسلامية ص٤٦، ٤٧.

(٦٩) راجع: تاريخ الشعوب الإسلامية ص٣٤ .

(٧٠) راجع القصة في السيرة النبوية لابن هشام ج١ ص٢٣٦ – ٢٣٨ .

(٧١) راجع : الطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص٢١٦ ، والسيرة النبوية لابن هشام ج١ ص١١٢ .

(٧٢) راجع : الطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص٢١٨ ،وكذا مناهل العرفان فى علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقانى ج٢ ص٤٢١ ، ٤٢٢ ط دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة .

(٧٣) هذا جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه ج١ ص٤ من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٧٤) راجع : السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة ، د / محمد أبو شهبة ج١ ص٢١٧ .

(٧٥) أخرجه البخارى في صحيحه ج٣ ص١٢٧٥ ، ج٥ ص٢٢١٠ ،ومسلم في صحيحه ج٣ ص١٦٦٣ .

(٧٦) أخرجه أبو داود فى سننه ج١ ص١٧٦ ،والبيهقى فى سننه،ج٢ ص٤٣٢ .

(٧٧) أخرجه مسلم في صحيحه ج٢ ص٢١٤ .

(٧٨) هو : أحمد بن عبد الحليم بن تيميه الحرانى الدمشقى، توفى سنة ٧٢٧هـ .

(٧٩) اقتضاء الصراط المستقيم ، ابن تيمية ج١ ص٦٢ ط ثانية مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة .

(٨٠) أخرجه البخارى في صحيحه ج٣ ص٥١٣ ، ج٤ ص٢٨٧ ، ومسلم في صحيحه ج٤ ص٢٥٨ .

(٨١) أخرجه مسلم في صحيحه ج٤ ص٢٦٦ عن ابن عباس ﷺ .

(٨٢) الغرانيق : الأصنام .

(٨٣) محمد في مكة ، مونتجمري وات ص ٢٠٩ .

(٨٤) محمد في مكة ، مونتجمري وات ص٢١٥ ، ٢١٦ .

(٨٥) كاتب سورى معاصر، هاجر إلى أمريكا، زعم أن السنة المطهرة، وضعها أئمة المسلمين، من الفقهاء والمحدثين، لتثبيت ملك السلطان .

(٨٦) إنذار من السماء ، نيازي عز الدين ص٤٣٧ ط أولى ١٩٩٦م الأهالي للطباعة بيروت .

(٨٧) راجع : إنذار من السماء ص٥٢٣ .

(٨٨) الوحي المحمدي ص ٣٩ .

(٨٩) راجع : السيرة النبوية فى ضوء القرآن والسنة ،د/ محمد أبو شهبةج١ ص٣٧١، ٣٧٢.

(٩٠) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، القاضي عياض ج٢ ص ١١٧، ١١٨ ط ١٣٢٤ هـ .

(٩١) الشفا ج٢ ص١١٧ ، ١١٨ .

(٩٢) الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ج٤ ص١٨ ط السلام العالمية بالقاهرة .

(٩٣) التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي ج١١ ص٢٩٨ ، ٢٩٩ ط دار الغد العربي بالقاهرة .

(٩٤) تفسير القرآن العظيم ، عماد الدين ابن كثير ج٣ ص٢٨٠ ط أولى ١٩٩٨م دار الكلمة بالمنصورة.

(٩٥) محمد رسول الله ﷺ ، الشيخ محمد الصادق عرجون ج٢ ص٦٩ ط ثانية ١٩٩٥م دار القلم بيروت .

(٩٦) راجع : التفسير الكبير ، الإمام الرازي ج١١ ص٢٩٩ ، ٣٠٠ .

(٩٧) البخاري في صحيحه ج٤ ص١٨٤٢ ، ط ثالثة ١٩٨٧م دار بن كثير بيروت.

(٩٨) البخاري في صحيحه ج١ ص٣٦٤ ،ج٣ ص١٣٩٩

(٩٩) راجع : السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة للدكتور محمد أبو شهبةج١ ص٣٦٧ .

(١٠٠) في ظلال القرآن ج ٧ ص ٦٣٧– ٦٣٩ ط سابعة ١٩٧١م دار احياء التراث العربي بيروت .

(١٠١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ج١٣ ص٣٥٠ ط دار الغد بالقاهرة .

(١٠٢) فتح البارى ج١٣ ص٣٥٠ .

(١٠٣) الحديث المرسل : قيل هو ما أضافه التابعي الذي لم يلق النبي للنبي صغيرا كان أو كبيرا ، ولم يذكر الواسطة، وقيل هو ما أضافه التابعي الكبير إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير ، والقول الأول هو المشهور عند المحدثين.

(١٠٤) صحيح مسلم ، ج١ ص١٣٢ "نووي"ط دار الكتب العلمية بيروت .

(١٠٥) صحيح مسلم ج١ ص ٣٠ .

(١٠٦) راجع : مقدمة ابن الصلاح للحافظ أبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن ط دار الكتب العلمية بسوريا .

(١٠٧) راجع : السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة ، د/محمد أبو شهبة ج١ ص٣٦٩ .